

التوحيد والتجريد والتنزيه في آراء الداعي الكرمانى الاسماعيلى

الدكتور مصطفى غالب

الموسم

لو ألقينا نظرة شاملة على هذا الكون الفسيح المترامي الأطراف البعيد الأغوار ، وتأملنا النظام العجيب الدقيق ، والترتيب البديع ، الذي نشاهده بأعيننا المجردة ، من الأصغر جسم إلى أكبره ، وارتباط هذه المخلوقات بعضها ببعض كسلسلة من الحلقات ، لأدركنا بما لا يقبل الجدل بأنه لابد من وجود منظم نظمها ومرتب رتبها ، ومحرك حركها ، وصانع صنعها ومبدع أبداعها ، وموجود أوجدها منذ البدء والنشوء .

وبتحليلنا هذه العوامل تحليلًا دقيقًا ، في ضوء العقل والمنطق ، نلمس إن كل عمل منظم ، مهما كان نوعه وحجمه ، يقتضى علة منظمة الأجزاء المتعددة والمختلفة ، أو المتفقة المتساوية ، وتوجهها إلى غاية مقصودة ، وأهداف منشودة محددة .

ولا غرو بان القوى المادية المحسوسة ، إذا تركت ذاتها ولذتها ، يختلف نظامها وترتيبها ، لأن الأعمال المنظمة المرتبة لا تصدر إلا عن علة عاقلة ترتبها وتنظمها وتحركها وتسيرها من أجل فائدة بعضها بعض .

لذلك وجب إن يكون لكافة الموجودات العلوية والسفلية ، منظم ومرتب حكيم نظمها وترتيبها وسيرها بهذه الدقة المتناهية .

ومن المفروض علميا ومنطقيًا إن يكون المنظم أو المرتب أو المسير أقدم واسبق من المنظم والمسير والمرتب لأنه علة لتنظيمه وترتيبه وتسييره منذ وجوده ، والموجود علة للموجود منذ البدء والنشوء ، باعتبار كل موجود هو حادث بالنسبة ليقدم والية وسبق الموجد .

والمخلوقات البشرية على اختلاف أهوائهم وتفكيرهم وتأملهم ودرجات عرفانهم ، ميالة بالفطرة إلى الاعتراف بوجود موجد عظيم ، عاقل حكيم ، ارفع وأسمى واقدم من كافة الموجودات والمخلوقات لأنه علة إيجادها واصل خلقها وتنظيمها وترتيبها وتسييرها في حركة دائمة لحفظها واستمرارها إلى ما لانهاية له ، وهو المبدع أو الخالق أو الصانع الموجد .

وهذا المبدع الخالق الصانع الموجد يتمتع بقوة جبارة مهما اختلفت الزوايا التي ينظر منها الإنسان إليها ، فستظل القوة الأصلية الثابتة والحافظة للعوالم في حركة مستمرة ورباط وثيق كارتباط المعلوم بالعلة ، والمخلوق بالخالق والصنعة بالصانع ، لأنه مبدأ ومرجع كل شيء ، ذو

كمال متناه باعتباره الكائن الموجود من ذاته ، أي الموجود الذي يوجد بمجرد ماهيته ، فلا يحتاج إلى علة خارجية تعطيه الوجود ، لكون لا يوجد من ذاته ، يحتاج في وجوده إلى علة فاعلة تحدثه ، ووجود الخلل الفاعلة المترتبة بالذات دليل واضح على وجود علة أولى لها يتعلق بها وجودها ، وهي غير معلولة .

وهذا الموجود الذي أقرت به معظم الشعوب والأمم ، في كل زمان ومكان ، ووقف أمام قوته العقل البشري موقف الدهشة والعجز والتواضع ، باعتباره العلة الأولى والغاية القصوى لكل الموجودات الحادثة والغير موجودة من ذاتها ، أزلي غير متغير في وجوده وقوته ، لا مثيل له ولا شريك ولا ند ولا بدء ولا نهاية له ، ندعوه الباري أو الله وتتوسل إليه في صلواتنا وعبادتنا الظاهرة و الباطنة ، ونستنجد به في النوازل والمصائب والملمات .

والباري سبحانه وتعالى هو علة لعل ، والعلة الأولى اللامعلومة التي يتعذر إدراك ماهيتها لأننا عاجزين عن ادراك وجودها ، لأن وجودها هو ذاتها ، والذات والوجود واحد في الله .
ومهما بلغ العقل البشري من السمو والارتقاء يقف عاجزاً عن إدراك الله بنوره إلا إدراكا ناقصا، وهذا الإدراك لا يكون إلا من جهة آثاره .

العجز عن درك الإدراك إدراك والبحث عن سر كنه الذات إشراك
والكشف عن مستجبات الغيوب عمى عليه من ظلمات العجز إفلاك

ولما كانت هذه الإثارة غير كاملة بالذات لأنها متناهية والله غير متناه ، فقد صح العجز عن إدراك الماهية اللاهية بنور العقل البشري الذي سبر أعماق الحقائق الكونية ، وحلق في متاهات الاكتشاف الفضائية ، وبما إن الباري موجود بذاته الذي يوجد عنه كل ما في الإمكان وجوده على أحسن وجوه الدقة والنظام والكمال ، فقد نزه عن جميع الموجودات إليه ، ولصدورها عنه إبداعا لا من شيء ولا من مادة ولا بالة ، ولا بمعين ولا بمثال صورة معلوماته عنده .

من هذه المنطلقات العرفانية تكونت نظرية التوحيد والتنزيه والتجريد لدى الإسماعيلية الذين جعلوها المحور الأساسي الذي تدور عليه كافة الشرائع والأديان في إيمانهم بوجود خالق مبدع تضم الطبيعة وسيرها بقدرته الخارقة ، وقوته العظيمة ، أمر فكان الليل والنهار وتعاقب الفصول ، وكانت السماء يكوأكبها ، والكواكب بمنازلها وبروجها وأفلاكها والرياح بجريانها ، والأرض وما عليها ، فسبحت له كافة الموجودات العلوية ، والمخلوقات الجسمانية ، والمبدعات الروحانية ناطقة بمعظمته ، ومنبئة عن باهر قدرته ، فذلت العقول خاضعة لنور وحدته ، وراحت تسعى ناهضة إلى إثباته لعبادته وتقديسه ، وتبحث جاهدة عن كماله ، لتوحيده ، وتجريده ، وتنزيهه .

ونظرة الإسماعيلية إلى الباري سبحانه وتعالى لا تختلف عما ينظر إليه بقية الموحدين من أصحاب الشرائع والأديان السماوية التي جاء بها الرسل والأنبياء ، وهم في توحيدهم يرون إن الله سبحانه وتعالى لا يدرك بعقد ضمير ولا بإحاطة تفكير ، ولا يقع عليه اسم ولا صفة ، ولا سبيل إلى إدراكه إلا بالإقرار بان لجميع الموجودات مبدعا أبديا تعجز العقول عن إدراكه لأنه لا

يمكن أن يكون ليسا ولا أيسا ، أي انه لا يصح أن يكون موجودا من نوع الموجودات التي وجدت التي وجدت عنه لأنه فاعلها وموجدتها ومبدعها وخالقها ومصورها .

ولو القينا نظرة عميقة على مصنفات أهل الدعوة الإسماعيلية لوجدنا إن علماء الفلسفة وحكماء هذه الدعوة قد افردوا في رسائلهم وكتبهم الأبحاث الطوال للدلالة على وجود الله وضرورة عبادته وتوحيده وتجليه وتنويهه .

نرى حجة العراقيين أحمد حميد الكرمانى يذهب في توحيده وتقديمه إلى القول: (...ولما كانت الموجودات بعضها في وجوده مستند هذا البعض في وجوده مستند إلى البعض، وكان لو كان ذلك البعض الذي يستند هذا البعض في وجوده إليه وبه يتعلق وجوده غير ثابت في الوجود، ولا موجودا، لكان هذا البعض محالا .

فلما ثبت انه لا وجود لهذا إلا بذاك ، كان منه العلم بان الذي تنتهي إليه الموجودات التي به توجد واليه تستند ، وعنه توجد هو الله الذي لا اله الا الذي لا اله إلا هو محال ليسيته، باطلة لا هويته، إذ لو كان ليسا لكانت الموجودات أيضا ليسا ، فلما كانت الموجودات موجودة كانت ليسيته باطلة، ثم لما كان من شأن الأضواء أن لا يكون لها وجود إلا بفقد أضدادها ، وكانت الموجودات متضادة وعيونها مختلفة متنافرة ، وهي على ما هي عليه من تضادها موجودة لا يفقد شيء منها بوجود ضده ، وكلها تحت الوجود محفوظة، كان من ذلك العلم بان الذي به بطلت طبيعة الضد في الخروج من حيز الوجود ضده ، وانحفظ الضد عن ضده الضي هو الله الذي لا اله إلا هو الذي ليسيته محال، إذ لو كان ليسا لكان وجود المتضادات ليسا .

ولما كانت المتضادات موجودة اعيونها كانت ليسيته باستناد وجودها إلى سياسة باطلة، فسبحان الذي به انحفظ وجود الأشياء على تضاد أعيونها ، واختلاف صورها به، ولا اله إلا الله اله خرس الألسن عند نهوض الأنفس لتناوله بصفة النطق فوقفت متيقنة بالعجز متحيزة..^(١)

نلمس من هذا القول أن الكرمانى يحاول أن يثبت فلسفيا بان البارى سبحانه وتعالى لا يمكن أن يكون معدوما، إذ لو كان كذلك لكانت الموجودات معدومة، ولما كانت الموجودات موجودة كانت عديمة البارى باطلة.

وبذلك يؤكد وجود الله عن طريق إبطال ليسيته لضرورة استناد الموجودات واحتياجها إلى موجود.

ثم يعود هذا الحكيم الحقاني وهو يتحدث عن التوحيد إلى التأكيد عن بطلان كونه تعالى أيسا فيقول: (لما كان الاليس في كونه أيسا محتاجا إلى مستند إليه في الوجود ، وكان هو - عن كبريائه - متعاليا عن الحاجة فيما هو إلى غير به يتعلق ما به هو ، كان من ذلك الحكم بأنه تعالى خارج أن يكون أيسا لتعليق كون الاليس ايسا بالذي يتأول عليه الذي جعله ايسا واستحالة الأمر في أن يكون هو تعالى ايسا ، ولا هو إلى غير به يتعلق ما به هو فمحال كونه ليسا .

(١) كتاب راحة العقل للكرمانى، تحقيق مصطفى غالب ١٢٩ - ١٣٠، دار الأندلس

ثم إن الله تعالى إن كان إيسا فلا يخلو إن يكون إما جوهرًا وأما عرضًا ، فإن كان جوهرًا فلا يخلو أن يكون إما جسمًا أو لا جسمًا ، فإن كان جسمًا فانقسم ذاته إلى ما به وجودها يقتضي وجود ما يتقدم عليه يكون كل متكبر مسبوقًا متأولًا عليه ، وهو تعالى بسبحانيته عن أن يتأول عليه غيره .

وان كان لا جسمًا فلا يخلو أن يكون إما قائمًا بالفعل فلا يخلو من أن يكون إما فاعلاً في ذاته من غيره حاجة إلى غير به يتم فعله ، فإن كان فاعلاً في غير به يتم فعله فلنقصانه في فعله . وحاجته إلى ما يتم به فعله تقتضي ما يتأول عليه ، وهو يتعالى عن ذلك . وان كان فاعلاً في ذاته من غير حاجة إلى غير به يتم فعله فلا استيعاب ذاته النسب المختلفة بكثرة المعاني المتغايرة بكونه في ذاته فاعلاً ومفعولاً بذاته يقتضي ما عنه وجوده الذي لا تكون فيه كثرة ولا قلة بهذه النسب ، وهو يتعالى عن ذلك . وكان إذا كان جوهرًا لا يخلو من هذه الانقسام وبرئت ساحته من أنحاء الحاجة والتكبر اللازمة للجوهر ، فقد من هذه الأقسام وبرئت ساحته من أنحاء الحاجة والتكبر اللازمة للجوهر ، فقد بطل أن يكون جوهرًا .

وان كان عرضًا وكان وجود العرض مستندًا إلى وجود ما يتقدم عليه من الجوهر الذي به وجوده وهو يتعالى ويتكبر عن أن تتعلق هويته بما يتأول عليه بطل أن يكون عرضًا . وإذا كان لا يخلو الأيس من أن يكون إما جوهرًا أو عرضًا ، وبطل كونه تعالى جوهرًا أو عرضًا ، بطل ببطلان كونه جوهرًا أو عرضًا أن يكون إيسا ، فباطل إذن كونه إيسا...^(١) وينتهي أحمد حميد الدين الكرمانى بحته الى إبطال كون الله تعالى إيسا مفترضة هويته وراء الايسيات المتعلقة وجودها باختراعه إياها .

وهذا يعني أن الذي تنتهي إليه الموجودات التي به توجد هو الله ، محال أن يكون موجودا من نوع الموجودات التي وجدت عنه .

لذا وجب أن يكون أصدق قول في التوحيد والتمجيد والإثبات ما يكون من جهة نفي الصفات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه سبحانه وتعالى .

ولم يكن الكرمانى الداعي الوحيد الذي عالج التوحيد على طريقة الاسماعيلية بل هناك علماء وفلاسفة خاضوا هذا غمار هذا الخضم الزاخر وجاءت كتاباتهم وأبحاثهم معبرة تعبيرا صادقا عما يذهب إليه بقية من وحدوا الله وعبدوه على أسس علمية عميقة الجذور تتيح لطلاب المعرفة الإيمان القويم ، وسلوك معارف التوحيد والتجريد والتنزيه .

جدول بأسماء خلفاء الفاطميين في مصر

ميلادي	هجري	
٩٥٢	٣٤١	المعز
٩٧٥	٣٦٥	العزیز
٩٩٦	٣٨٦	الحاكم
١٠٢٠	٤١١	الظاهر
١٠٣٥	٤٢٧	المستنصر
١٠٩٤	٤٨٧	المستعلي
١١٠١	٤٩٥	الأمير
١١٣٠	٥٢٤	الحافظ
١١٤٩	٥٤٤	الظاهر
١١٥٤	٥٤٩	الفائز
١١٦٠	٥٥٥	العاقد

سقوط الخلافة الفاطمية ١١٧١/٥٦٧

جدول بأسماء بعض وزراء الفاطميين في مصر

العزیز

أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلثوم.	٩٧٨/٣٦٨
جبر بن القاسم.	٩٨٣/٣٧٣
ابن كلثوم ثاني مرة.	٩٨٣/٣٧٣
أبو الحسن علي بن عمر العداس.	٩٩١/٣٨١
أبو الفضل جعفر بن الفرات.	٩٩٣/٣٨٣
عيسى بن نسطور.	٩٩٣/٣٨٣

الحاكم

الحسن بن عمار	٩٩٦/٣٨٦
أبو الفتوح بر جوان	٩٩٧/٣٨٧
أبو العلاء الفهد بن إبراهيم	١٠٠٠/٣٩٠
الحسين بن جوهر	١٠٠٠/٣٩٠
أبو الحسن علي بن العداس	١٠٠٣/٣٩٣
صالح بن علي الروذباري	١٠٠٨/٣٩٨

منصور بن عبدون	١٠٠٩/٤٠٠
زرعة بن نسطور	١٠١٠/٤٠١
الحسين بن ظاهر الوزان	١٠١٢/٤٠١
عبد الرحمن بن أبي السيد	١٠١٤/٤٠٥
الفضل بن جعفر بن الفرات	١٠١٤/٤٠٥
أبو الحسن علي بن جعفر بن فلاح الكتامي ذو الرئاستين	١٠١٤/٤٠٥
المسعود بن اظاهر الوزان	١٠١٨/٤٠٩

الظاهر

أبو الحسن عمار بن محمد خطير الملك	١٠٢١/٤١١
أبو الفتوح موسى بن الحسين بدر الدولة	١٠٢١/٤١٢
أبو الفتوح المسعود بن ظاهر الوزان	١٠٢٣/٤١٤
أبو محمد الحسن بن صالح الروذباري	-
أبو القاسم أحمد بن علي الجرجرائي	١٠٢٧/٤١٨

المستنصر

الجر جرائي، استمر	١٠٣٦/٤٢٧
ابن الأنباري	١٠٤٥/٤٣٦
أبو المنصور (أو نصر) صدقة بن يوسف الفلاحي	٩-١٠٤٨/٤٤٠
أبو البركات الحسن (أو الحسين) بن عماد الدولة محمد	٩-١٠٤٨/٤٤٠
أبو الفضل سعيد بن مسعود	١٠٥٠/٤٤١
أبو محمد الحسن (أو الحسين) بن علي بن عبد الرحمن اليازوري	١٠٥٠/٤٤٢
أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي	١٠٥٨/٤٥٠
أبو الفرج محمد بن علي بن الحسن المغربي	١٠٥٨/٤٥٠
البابلي، ثاني مرة: بعد ذلك صرف مستمر للوزراء	١٠٦٠/٤٥٢
أبو النجم بدر الجمالي، أمير الجيوش	١٠٧٤/٤٦٧
أبو القاسم شاهنشاه الأفضل بن بدر الجمالي	١٠٩٤/٤٨٧

المستعلي

الأفضل، استمر	١٠٩٤/٤٨٧
شرف المعالي بن الأفضل	

الأمـر

الأفضل، استمر	١١٠١/٤٩٥
أبو عبد الله محمد المأمون بن فاتك بن مختار البطانحي	١١٢٢/٥١٥

من ٥١٩ إلى ٥٢٥ بدون وزراء

الحافظ

أبو علي أحمد بن الأفضل، المعروف بكتيفات	١١٣٠/٥٢٥
يانس (مملوك أرمني)	١١٣١/٥٢٦
أبو الحسن (ابن الحافظ)	١١٣/٥٢٦
أبو ربيع سليمان (ابن الحافظ)	٤-١١٣٣/٥٢٨
أبو المظفر بهرام (أرمني الأصل)	١١٣٥/٥٢٩
رضوان بن الولخشي	١١٣٧/٥٣١

من ٥٣٣ إلى ٥٤٤ بدون وزراء

الظافر

أبو الفتوح نجم الدين سليمان بن محمد بن مصال اللكي	١١٤٨/٥٤٣
أبو الحسن علي بن سلار الملك العادل سيف الدين	١١٤٨/٥٤٣
العباس بن أبي الفتوح بن تميم، الأفضل ركن الدين	١١٥٣/٥٤٨

الفائز

الملك الصالح طلائع ، بن رزيك	١١٥٤/٥٤٩
------------------------------	----------

العاقد

أبو شجاع العادل محي الدين رزيك بن طلائع	١١٦١/٥٥٦
أبو الشجاع شاور بن مجير بن نزار	١١٦٣/٥٥٨
أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار اللخمى	١١٦٣/٥٥٨
شاور، ثاني مرة	١١٦٥/٥٦٠
شيروكوه	١١٦٥/٥٦٤
صلاح الدين (خان الأمانة)	١١٦٩/٥٦٤

سلسلة الامامة باقية في عقبه الى يوم القيامة



عبد مناف

بن غالب بن فهر (وهو قريش) بن مالك، الى ان ينتهي فسمه المبارك الى ابراهيم النبي ومن قبله من ابناء الائمة المستقرين مع

ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي

(سيدنا طاهر سيقا الدين ح)

اهل بيت النصف في المختار من بيتهم الحسين بيت في لوي علة الاكران طرا من لهم خلق الله تعالى كل شيء